فالشّنان اصلهُ الشّنآن نُقلت فتحة الهمزة الى النون ثم حُذفت فقيل « الشّنان »
والسلام (لهُ بقيّة)

الآثار النصرانية
في امركة المتوسطة والجنوبية

نقلًا عن رحلة اوّل سائح شرقي الى امركة

عُني بنشرها وتعليق حواشيها الاب انطون رباط اليسوعي

هذه نبذة ثانية ننقلها عن كتاب رحلة الخوري الياس الموصلي الى امركة من قسمها التاريخي الذي لم ننشرهُ موضوعها التقاليد القديمة التي لقيها الاسبانيون لدى وصولهم الى امركة المتوسطة والجنوبية من صلبان وآثار وعاديات واخبار غريبة في بابها تذكر كلها ان رجلًا عظيمًا زارهم في الاجيال السالفة وعلمهم وتنبأ لهم بما سيكون. وقد قلّبنا الرحلات والتواريخ ورسائل المرسلين فرأينا من هذه التقاليد والعوائد شيئًا كثيرًا يكاد ان يثبت رأي من قال ان النصرانيّة اتصلت الى تلك الاصقاع وتركت آثارًا لا تنكر وإن صعب تعليل مصادرها وازمنتها. على ان كاتبنا ذهب — وذهب قبلهُ وبعدهُ كثير من الكتبة — الى ان القديس توما الرسول بشّر بالانجيل الطاهر في امركة الجنوبية ونصّر عددًا من سكانها. لكن الايام طفت على ما بذرهُ من تعاليم الخلاص فابيدتها وابادتها. ذلك امر لا ننكر احتمالهُ لكننا لا نجزم بحقيقتهِ لضعف البراهين واعوازها وامكان تأويلها بزيارة مرسل او كاهن زارهم عمدًا او قذفتهُ اليهم العواصف في اجيال قريبة من اجيالهم. وقد لمح الملّاء البولنديون الى هذا الراي ورصفوهُ بقولهم « ان ما يذكر عن اخبار امركة القديمة في هذا الشان اقرب الى الغرابة منهُ الى الصدق » (Acta Sanctorum, vol. IV Jul., p. 15: Curiosa magis quam certa proponunt) ومن ثمّ ننشر هذا الفصل تاركين العهدة على كاتبهِ

الفصل الحادي عشر

يشتمل على اخبار تلميذ المسيح مار توما الرسول وتلاميذه الذين دخلوا الى بلاد الهند الغربيّة

نقول ان في تواريخ فرنسيسكو بيزارو فاتح هذه البلاد وضابطها يذكر انهُ كان تصاحب مع هنود من اهلها عتيقي السنين والايام فاعلموه بالعجيبة التي كان اجدادهم وسلفاؤهم يحكونها لهم. وهو انهُ كان جاءهم رجلان احدهم اشقر طويل والاخر مربوع القامة وكانت وجوههم تلمع كالشمس وكانوا يكرزون وبايديهم عكاكيز

قالوا : « والى الآن موضعهم عندنا معلوم وهو يبعد عن ليما خمسة عشر فرسخاً » .

فلما سمع بيزارو بهذا الخبر اخذ الشيوخ المذكورين معه وراح ليرى تلك الارض . فاراه الهنود العلامة والحجر التي كان يقف فوقها التلميذ ويكرز . وكانت ارتسمت قدماه مطبوعةً في تلك الحجر وانا الفقير رايتها بعيني . وفي جانب هذه الصخرة مكتوب باحرف هكذا (١ ... وهذه الاحرف مع الحجر ايضاً هي مصورة في كتاب المورخ وهذه هي (٢ . فانا نسخت هذه من كتاب بيزارو المثبت من باقي المورخين بان الهندي قال لبيزارو : ما نعرف ايش مكتوب على هذه الحجر لاننا نحن ما لنا خرف ولا نعرف الكتابة ولا القراءة . فلما راح بيزارو الى ذلك الجبل تحقق كلام الهنود ونظر هذه العلامات المرسومة في الصخرة اي اثر قدم التلميذ والاحرف لكنهُ ما قدر يقرأها فنسخ منها الممكن نسخهُ لان الاحرف قد سافت من كثرة الايام

وبعد ذلك جاء اسقف الى بلد كيتو وقدّس يوماً قدّاساً كبيرًا بالتاج والعكاز كالعادة المختصة بالاساقفة والمطارنة فلما رآه الهنود بذلك الطقس والقسقال (٣ سالوا قوس الاسقف مستخبرين ان كان هذا هو تلميذ (٤ لان لباسهُ كلباس التلاميذ المصورين عندنا في مساجدنا على الحجر والطقس مثل هذا الطقس واللبس كهذا اللبس بعينهِ وايضاً هكذا كان يقدس هذا التلميذ الذي كان يسمى توماز الذي حكى لنا اجدادنا عنه بانهُ كان في هذه البلاد وبعد ذلك ارتحل من عندنا متوجهاً الى الشرق وما عاد رجع لكن نياشينهُ بقيت عندنا

وايضاً يشهد المؤرخ كومارو (Gomara) وكرسلاسو (Garcilosso) في تواريخهما بان هذا كان القديس مار توما . لان الروح القدس كان يرفعهُ وينقلهُ من موضع الى موضع والى اي مكان كان يقصد وراح الى بلاد هند الشرق في بلد تسمى كراميا (Caramine) ومالابار (Malabar) . ويومئذٍ يسمونها ميلابور في هند الشرق مثلما قال القديس كريوستيموس (فم الذهب) وسفرونيوس والقديس

١) و ٢) بياض في الاصل

٣) القسقال لعلهُ اراد صلوات الفرض المعروفة بكلمة دمحمه

٤) يريد بالتلميذ الرسول

جيرونيموس : ان مار توما الرسول عمد ثلاثة ملوك وهم الملوك الذين ذكرهم في كتابه المعلم قيصر بارونيوس قائلًا انهم كانوا حاضرين لاستماع كرز مار توما وكانوا من الكلدانيين مثلما اثبت ذلك المؤرخ كارديانوس في كتاب تواريخ الشرق في زمان الملك اسكندر بن فيليبس الماشيدوني

ويلي هذا الفصل خبر تنصّر احد ملوك الوطنيين في بلاد البيرو سنة ١٥٦٣ ثمّ عاد الكاتب الى روايته في آثار النصرانية القديمة قائلًا :

ولنرجع في قولنا الى تلك الصخرة التي كان يكرز عليها التلميذ كما ذكرنا سابقًا ونياشينها مفاتيح حديد ومرساة المركب . فالهنود ما كانوا يعرفون ايش هي المفاتيح ولا مرساة المركب ولا الاحرف . فلمّا دخل السبنيولية الى هذه البلاد ووضعوا ابوابًا بمفاتيح حديد ورأى الهنود مرساة المركب واحرف الكتابة فهموا النياشين . وذلك ان التلميذ ما قدر يرجعهم الى ايمان المسيح فترك عندهم مفاتيح مار بطرس علامةً ودليلًا بمجيء النصارى حتى يبشروهم بايمان المسيح . وكان الهنود يعبدون تلك الصخرة فجاء وكيل مطران ليما وخرب الاحرف التي كانت حولها . وكان عند راس الصخرة صليب وهي يومئذٍ في جانب النهر المسمّى كالانكو . فلما راح الوزير برنجي اسكيلاج (اي الصدر الاعظم القديم) ومطران ليما الذي اسمهُ توبي والخوري ارتاندو معلم اللاهوت وبعض معلمين حققوا وثبتوا بشهود وعدد من مشايخ الهنود ومن جميع تلك التخوم . وكان الهنود يسمونها صخرة التلميذ مثلما اخبرهم اجدادهم . والى الآن يسمونها هكذا

ثم اخبروا الوزير بان في قرية اخرى تسمى كولاتاده لاميا من تخوم كاخاتامبو (Caxa-Tambo) التي تبعد تسعة ايام من بلد ليما توجد صخرة اخرى طُبع عليها قدمان وعكازة وهذه الصخرة تسمّى « في كولا » ولها وارث قد استورثها من اجداده فقال الهنود : ان اجدادنا كانوا يسمونها صخرة التلميذ ونحن الى هذا الحين نسميها هكذا . والذين كانوا يقفون على هذه الصخرة كانوا شخصين

وبعد ان مات مطران ليما وجاء مطران آخر عوضهُ اسمه توريبو ماكرو (Turibo Magro) الذي قوتنّه الكنيسة قديمًا وجعل يزور كنائس مطرنتهِ وابرشيته كعادة المطارنة والاساقفة حينئذٍ اعلموه عن صخرة اخرى في بلاد چاچاپويس في قرية تسمّى كولياب . وكان الهنود يوقرونها اعظم التوقير . فسألهم عن

ذلك فقالوا لهُ اننا سمعنا من اجدادنا ان هذه الصخرة من قديم الزمان كان رجلان احدهما اشقر لحيـاني وكان يقف على هذه الصخرة ويكرز . ولما كان يصلي كان يبرك على ركبتيهِ ويشبح ذراعيهِ وعيناه شاخصتان الى السماء وفي مسجدنا العظيم صور اجدادنا من حجر تراهـم يشهدون بذلك . فلما سمع المطران ذلك القول جثا على ركبتيهِ يزحف زحفاً وقدم الى موضع اقدام التلميذ وقبلها ومرَّغ وجههُ عليهـا ومن بعدهِ الكهنة وباقي الشعب فعـلوا ذلك باحترام عظيم . ثم امر المطران بعمارة كنيسة فوق تلك الصخرة ورسمها وجعل اسمها كنيسة التلميذ الى يومنا هذا

وايضاً في زمـان فرنسيسكو بيزارو فاتح هذه البلاد والاقليم الرابع اعني البيروه في سنـة ١٥٣٧ كان ارسل الملك معلماً كاتبهُ اسمهُ دون اوغسطين ده صاراتي (Augustin de Zarate) حتى يكتب ويحرر مدخول المملكة في كل بلاد البيروه فهذا يذكر في تواريخهِ انهُ لما كان في تخوم كيتو دخل يوماً الى بيت الاصنـام ووجد في هذا البيت مصورا على حجر تاج اسقف وعكازاً وبدلـة القداس . فسأل الهنود عن هذه التماثيل فقالوا لهُ ان من قديم اجدادهم كان اتاهم رجل اشقر يسمَّى تلميذاً وكان رجلاً حكيماً . ويوجد على هذا الجبل علامة موضع رجليهِ وعكازتهِ وكتابة باحرف لا نعرف ايش تأويلها . فهذا المذكور اوغسطين ده صاراتي يقول في تاريخهِ انهُ هو بعينهِ شاهد ذلك في بيت مسجد الاصنام في تخوم كيتو

وألحق المؤلف هذا باخبار مملكة البيرو قبل دخول الاسبانيين اليها ووصف عاداتهم في دينهم ودنياهم الى ان قال :

وفي جزيرة تسمَّى كوماتا قريبة لارض البيروه يذكر المؤرخ كومارا بانَّ في بيوت الاهاتهم كانوا يعبدون صليباً بين الاصنام فقالوا : هذا الصليب عندنا موقَّر ونحزي بهِ كلَّ الاعداء المنظورين والغير منظورين لما يظهرون لنا في الليل واذا عرض للاطفال شيء من ذلك نضع عليهم الصليب فيبرأون . وهولاء الهنود ما كانوا يعرفون ايش هي خاصيَّة الصليب لانهم كانوا قد نسوا تعليم الرسل وكان الشيطان يشغلهم باللاهي الدنيويَّة واللذات الجسدية

وايضاً في جزيرة كوذميل (Cozumel) قرب بلاد ينكي دنيا يقول المعلم الكبير كومارا والراهب مبارك من طائفة مار اوغسطينوس لما دخل المركيز كورتين

فاتح تلك البلاد الى هذه الجزيرة رأى حوشاً واسعاً محاطاً بكلس وفي نصف ذلك الحوش صليباً منصوباً طولهُ عشرة اشبار كانوا يعبدونهُ قائلين : هذا نيشان اله الطوفان واذا انحبس المطر كانوا يجتمعون حولهُ ويعملون لهُ زياحاً وطلبة طالبين المطر ففي الحال كان يمطر عليهم . وهذه الجزيرة كانت مثل القدس للهنود وقد حفظوا تذكار التلميذ الذي بشَّرهم وكَّموا الصليبان لانهم قشعوا عجائبها ومنافعها لان التلميذ كان يعلم بالهام الروح القدس ان بعد ايام وزمان سيدخل المسيحيون الى هذه الاراضي فلاجل ذلك السبب وضع هذه النياشين كعلامة

يذكر ايضاً المؤرخ انهُ كان في تلك الجزيرة هندي يدَّعي النبوَّة اسمهُ جيلانكاكاس (Chilon-Combal) وكان قد تنبأ عليهم أنْ « عن قريب ياتيكم اناس لحيانيون بيض فاقبلوهم بصلح وسلام وهم اصحاب هذا الصليب الذي تركهُ لنا التلميذ توما » واسمهُ مكتوب ايضاً على صخرة في بلدة تسمَّى جورتالس وهذا الصليب اخذهُ مرَّة الكفرة ورموه في النار مدهوناً بالزفت والقطران حتى يحترق فبقيت النار تشتعل ثلاثة ايام وما احترق . فلما عاينوا هذه العجيبة آمنوا بهِ وحفظوهُ عندهم الى حينما دخل السبنيولية الى بلادهم . فلما سمع اسقف واخاكا بتلك العجيبة ارسل قوساً ليحضروه الى الكنيسة فصعب على الهنود اخذهُ وقرروا قائلين : هذه ذخيرة اجدادنا فكيف انتم تاخذونهُ من عندنا . فجعل لهم الاسقف صليباً عوضاً عنهُ ووضع الصليب العجيب في كنيسة بلد واخاكا (١ . وانا الفقير قد رأيتهُ بعيني

وقال الراهب المعلم غريغوريوس كرسيا في تاريخهِ . لمَّا فُتحت هذه البلاد حكى لهُ الهنود عن هذا الصليب بما كانوا سمعوا من اجدادهم السالفين بان هذا الصليب كان حاملهُ التلميذ توما وماشياً على البحر برجليهِ كما تمشي على الارض

وفي بلد جيابا وجدوا في يد احد اكابر الهنود كتاباً استورثهُ من اجدادهِ فيهِ صورة الخليقة والثالوث الاقدس والعذراء في ثياب من زي نساء الهنود فجمع اسقف هذه البلد برتلماوس دي لاس كازاس مجمعاً من الهنود ليتحقق منهم اثبات القول عن مار توما الرسول فقالوا لهُ : جاء عندنا رجل طويل القامة لهُ دقن وكان لابساً

١) اطلب هذه الاخبار في كتاب رحلة غريجالفا (Grijalva) سنة ١٥١٧ (تاريخ الاسفار المجلد ١٢ الصفحة ٢٤٥ الخ)

عليهِ تونيكا اعني قميصاً طويلاً الى الكعب وفي رجليهِ چاروخ (١ وملفحاً بازار وشعر راسه طويل . هذا الذي حكاهُ لنا اجدادنا

وفي سنة ١٥٥٣ يذكر المعلم الراهب بادره اندراوس ده لارا رئيس رهبان طائفة المرسي اعني سنتا مريم الوهيبه كان في بلاد چيلي (Chili) ودخل الى بلدة كانت للهنود تسمَّى اليوم صانتا كوده چيلي فحكى لهُ مشايخ الهنود بانهُ من قديم جاء الى اجدادنا رجل طويل الشقراني لهُ دقن وشعر راسهُ طويل وكان اسمهُ توما واليوم عندنا واحد من الاكابر اسمهُ توما وكل عيلتهِ يدعون بهذا اللقب من زمان مار توما ويومئذٍ يسمونهُ بارون توما . واروهُ الصخرة التي كان يقف عليها يكرز وقد انطبعت علامة دوسات رجليهِ في الصخرة

ويذكر المؤرخ صاروسانوا قائلاً : لما كسبوا هذه البلاد رموا قرعة على الاراضي ليتقاسموها فطلع لقبطان اسمهُ خوان ده بورسيل باريليا في القرعة عقبة . وكانت هذه العقبة لاحد الهنود العاصين فعمَّر هناك برجاً وامر ان يقطعوا كل الاشجار والحرش الذي في تلك العقبة . فوجدوا مغارة ودخلوا اليها فرأوا صليباً طولهُ ستة اذرع وليس قوي غليظ واقفاً على ثلاث صخرات صغيرة ومقروسة بهِ ثلاثة مسامير من خشب بصناعة لطيفة ويقولون ان هذا الصليب عمل يد الرسول مار توما فلما رأى الرجال ذلك غشي عليهم بغتة وقالوا ان هذا نزل من السماء فاجتمع الهنود وحملوا الصليب على اكتافهم وعلقوهُ في موضع عالٍ في تلك الارض وزينوه بالزهر واغصان النخل . فلما جاء القبطان المذكور وسمع ذلك اخبر حاكم تلك النواحي فقام الحاكم مسرعاً واتى مع جمهور وخلائق وحقق ودقق من الهنود ومن كتب ملكهم فاوقفوه على جميع ما حكى لهم اجدادهم من الزمان القديم . حينئذٍ صعد الخلائق قاصدين المغارة ببكاء ونحيب فوجدوا في المغارة صخرة طويلة ممتدَّة على الارض طولها ثلاثة اذرع ومطبوع على تلك الصخرة نصف جسد التلميذ اي جانبهُ الواحد لانها كانت فراشاً لهُ . حينئذٍ فرحوا فرحاً عظيماً شاكرين انعام السيد المسيح الذي اظهر لهم ذخيرة تلميذه ورسوله توما . حينئذٍ اخذوا الصليب ونقلوهُ الى البلد ووضعوهُ على امرأة كانت في المنازعة ففي الحال شفيت من مرضها . وثاني يوم صار مخاصمة بين اثنين من الجنود فالواحد ضرب رفيقهُ

١) الچاروخ فارسية النمل الغليظ

ثلاثة خناجر قاتولية فطرحهُ على الارض ميتاً فاسرع الناس عاجلاً الى الصليب ونحتوا منهُ قليلاً وسقوا منهُ ذلك القتيل . فللحال نهض فاتحاً عينيهِ ومتكلماً وثاني يوم خرج طيباً سليماً وعلامة الخناجر بقيت في جسمه . وايضاً في تلك الايام صار عليهم مطر عظيم ثلاث ايام مع ثلاثة ليالٍ حتى من عظم ذلك السيل الرخم طافت الانهر والاودية واخذت اشجار الصنوبر من الجبال وترات بها متحدرة الى قلعة البلد فلما نظروا ذلك خافوا وارتعدوا لئلا يكون طوفان ثانٍ فاجتمعوا واخرجوا ذلك الصليب بزياح وامانة كاملة فللوقت رجعت الماه وتصرَّفت فتتت تلك الاشجار والخشب راسخة على الارض حينئذٍ اخذوا تلك الاشجار والخشب الصنوبر وعمروا بها كنيسة على اسم صليب ذلك التلميذ السعيد مار توما الرسول

وايضاً في بلد قريبة من مدينة الكوشكو التي كانت تخت ملك الهند وجدوا في مكتبخانة الملك مؤرخاً اخبار مشبرتة من كتبة ماوك الهنود القدماء الذين كانوا يكتبون الاخبار والاحوال بتصاوير ونياشين لان لم يكن لهم حرف . والمعلم كوسطا (Acosta) يذكر في تواريخهِ على الهند عن مار توما والبادره غريغورس كرسيا يذكر عن الدنيا الجديدة ويثبت سياحة هذا الرسول وايضاً المعلم قيصر César Baronius في كتابهِ الاول في الفصل العشرين حقق وثبت كرازة هذا الرسول في تلك البلاد وفي تواريخ دون استيفان ده لاصار في كتابهِ الثاني في الفصل الثالث يذكر المعجزات التي صنعها التلميذ في بلاد البيروه والمؤرخ كرسلاسو يذكر كذلك في كتابهِ الاول في الفصل الثامن عشر وايضاً المعلم البادري رودويكو لوصا عاش زماناً طويلاً في الهند ويذكر في تواريخهِ كذلك وايضاً دون ديكو ده البرس والمعلم انطونيو ده ادبرا جميع هولاء المعلمون يخبرون في تواريخهم عن تلمذة هذا القديس مار توما الرسول

وايضاً ذكر المعلم كومار في كتابهِ ان مار توما الرسول دخل على شعب هنود في قرية بونا وكرز عليهم ايمان المسيح وزرع في قلوبهم كلاماً روحانياً لاجل خلاص انفسهم لكن المارد الشقي كان يقتني قلوبهم ويزرع زوانه في حقل المسيح فاشار عليهم ان يُرقوا القديس بالحياة فاجتمع قومٌ من الهنود وائتمروا على قتلهِ . فلمَّا راحوا الى منزلهِ رأوهُ راقداً فجمعوا حطباً وقشاً يابساً وحوطوه حولهُ واضرموا النار فالتهبت وشعل ذلك الحطب والقش بشرارة عظيمة فالهنود لما رأوا النار التهبت باضطرام ما طاقوا

القرب اليها لشدّة حرارتها بل صاروا متأخرين من بعيد يتزعجون والقديس كان قاعدًا براحة ورياضة والشيطان يحترق امامهُ في تلك النار ثم خاص اللهيب وهمدت النار وصارت رمادًا فالقديس الرسول ما احترق منهُ ولا خيط وما تدخنت لهُ ولا شعرة واحدة من جسدهِ بل خرج اليهم ببشاشة وحلم من غير تألم ولا كدر وبدأ يكرز عليهم فالهنود حارت عقولهم وطاشت افكارهم من ذلك السر العظيم . حينئذٍ رحل من تلك القرية ودخل الى قرية اخرى تسمّى جا كوتيو وهذه القرية هي بساحل بحيرة وطول هذه البحيرة ثمانون فرسخًا عدّيت عليها انا الحقير . فاما الهنود الذين نظروا المعجزة فخرجوا معهُ ليودعوهُ فبينما هم في البرّية يرافقونهُ والّا صار عليهم في تلك الساعة عجاج وزوابع عاصفة وغيم مظلم ورعد مع بروق وحجارة خشنة منحدرة من الجو مثل زخ المطر مع زواعق متضاعفة جدًا فارتعش الهنود وخافوا واخطر الشيطان ببالهم ان ذلك انتقام منهم من اجل الذنب الذي صنعوه بموافقتهم لهذا التلميذ فقام حينئذٍ التلميذ القديس ورفع عينيه ويمينهُ ورسم اشارة الصليب مباركًا باسم معلمهِ يسوع المسيح مخلص العالم على تلك الغيوم المعتمة والعجاج العاصف والرعد المفزع ففي حال الوقت هدأت الدنيا وغاب كل ذلك وتحول الى نهار منوّر وفرح .

فالشرير اللعين عدو الخير والصلاح الخمص مقهورًا واشار على اهل قرية جكويت وهو المكان الذي كان التلميذ ذاهبًا اليهِ ليكرز ان لا يقبلوه بل يقتلوه . فاولئك الشعب ما راموا قتلهُ بل ربطوا يديهِ ورجليهِ ووضعوه على كليكة صغيرة من خشب وارخوه في تلك البحيرة قائلين نتركهُ يموت في هذه البحيرة خير من ان نقتلهُ فبينما هم مجتمعون على ساحة البحيرة يتفرجون بما يتم بهذا القديس والّا نظروا سيدة نزلت من السماء مشرقة كمثل نجمة وفائقة الحسن والجمال فنزلت اليهِ وفكت رباطات يديهِ ورجليهِ وسرّحته لناحية البحيرة . ويقول المؤرخ بان الشفيعة مريم العذراء انحدرت من السماء وخلصت القديس توما

والذي ذكره المؤرخون اعلاه في كتاباتهم عن عجائب هذا الرسول فما استطعنا ان نورخهُ كلهُ في كتابنا هذا المختصر فاخرجنا البعض وانتخبنا البعض من كتب تواريخ المعلمين السبنيوليين المثبتة من ديوان مجمع قضاة الايمان الكاثوليكي الذي يسمى في لسان السبنيولي الانكيجيسون (Inquisicion) (تم كتاب الرحلة)